المحاضرة الثامنة -٠٨-
العثمانيون والعرب (التعايش والتصادم)

١- التعايش:

لقد كان للعثمانيين فضل كبير في تحرير وإنقاذ الوطن العربي من المدّ الصليبي المسيحي بدءًا من شمال إفريقيا بعد سقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس "غرناطة عام ١٤٩٢م" حيث حررّوا الجزائر من الإستعمار الإسباني عام ١٥١٩م وليبيا من فرسان القديس يوحنا، وتونس عام ١٥٧٤م بينما المغرب الأقصى قامت به مقاومة شعبية تزعمها السعديون أنجته من هذا الاستعمار الصليبي. هذا في جزئه الغربي أما في جزئه الشرقي فقد أنقذته من التحالف الصليبي الحبشي البرتغالي الذي هدّد بقاعه المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والدولة المشرفة عليها "دولة المماليك" والتي كانت تضم كل من مصر والشام والحجاز.

هذا إلى جانب التحالف البرتغالي الصفوي الشيعي الذي جاء بعد أن هاجم البرتغاليون السفن العربية ونهبوها في البحر الأحمر وبحر العرب وخليجهم وأسروا بحارتها، وأغروهم واخذوا باحتلال الثغور العربية الجنوبية التي تضمن لهم السيطرة على طريق الهند فاحتلوا جزيرة سقطرة اليمنية عام ١٥٠٦م، وسيطروا على باب المندب ونهبوا مسقط في الجنوب ودمروا عدن، ولم تستطع دولة المماليك، الثبات في وجههم وبدت عاجزة عن ردّ الخطر الأوربي البرتغالي. هذا الأخير الذي تحالف مع الصفويين كما سبقت الإشارة إليه للتصدي للدولة العثمانية السنية.

كل هذه الأوضاع المزرية دفعت بالدولة العثمانية إلى توقيف فتوحاتها الإسلامية في شرق أوربا والتوجه إلى الدفاع عن المسلمين في المشرق العربي ففتحوا الشام بعد انتصارهم في معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م على المماليك التي مات فيها سلطانهم قانصوه الغوري، ودخل العثمانيون بقيادة سليم الأول حلب ثم حماه فدمشق.

ثم تابع السلطان سليم زحفه إلى مصر، وانتصر على المماليك وسلطانهم الجديد طومان باي في معركة الريدانية ١٥١٧م ودخل القاهرة وبذلك أصبحت الشام ومصر بيد العثمانيين. وأمام هذه الانتصارات العثمانية آثر الحجاز الإنضمام إلى

الدولة العثمانية وأرسل شريف مكة المكرمة إبنه إلى السلطان سليم في القاهرة يحمل إليه مفاتيح الكعبة وأعلن الدخول في طاعته فقبل السلطان ولاءه وثبته على إمارته. أما العراق فقد عمل العثمانيون على فتحه في عهد السلطان سليمان القانوني بعد أن ظهر الخطر الصفوي عليهم من جديد، بعد أن قضوا على تحالفه مع البرتغاليين فأرسل السلطان حملة تمكنت من دحر الصفويين مرة أخرى، وضم العراق إلى الخلافة العثمانية عام ١٥٣٤م أما فارس فقد بقيت تحت حكم الصفويين.

وهكذا ورث العثمانيون في بلاد المغرب العربي مجابهة الإسبان وإبعاد خطرهم عليه، وفي المشرق العربي مقارعة البرتغاليين وإبعاد خطرهم عن البحر الأحمر والأماكن المقدسة، وطردهم من الخليج العربي والبحار الشرقية. فاستولوا على اليمن وجنوبي الجزيرة العربية ومشيخات الخليج العربي وعدن عام ١٥٣٨م ومسقط وعمان والأحساء والبحرين والكويت وبسطوا سيادتهم الإسمية عليها ما نحين إياهم الإحتفاظ باستقلالهم الداخلي.

وهكذا وبفضل الدولة العثمانية بعد أن كان العرب دويلات متفرقة لا جامع سياسي يجمع بينهما، وقعت كلها (ما عدا المغرب الأقصى) في حوزة العثمانيين وأصبحت تخضع لحكم واحد، ولا يخفى ما لذلك من قيمة وهيبة أمام الدول المتربصة بها.

وبذلك ظلّ العثمانيون يحكمون البلاد العربية بعامل الدين وبرابطة الأخوة الإسلامية أربعة قرون تقريبًا.

وكان الوازع الديني هو الذي يدفع العرب إلى التوجه بولائهم للسلطان –الخليفة–، ولاسيما أنهم آمنوا بأن الخروج على صاحب الولاء هو إضعاف للدين وللدولة الإسلامية معا، ومدعاة للتدخل الأجنبي، ولطمع الدول الأوربية في بلاد العرب، وتسهيل لإمكان قضائها على الدولة العثمانية التي كانوا يعدّونها دولة الإسلام الذائدة أو المدافعة عن حياضه.

وعلى العموم كان للسلطان –الخليفة– من المكانة الدينية في القلوب ما جعله حاكمًا مطلقًا لا يحدّ من سلطانه وسطوته أي شيء. فإلى جانب كونه خليفة

للمسلمين كان رئيسا أعلى في الدولة، وصاحب الدولة المطلقة في تصريف شؤون الرعية، وكان له فوق ذلك سلطة عسكرية لأنه القائد الأعلى للجيش.

وبذلك تعايش العثمانيون والعرب في إطار دولة واحدة هي الدولة العثمانية التي تشكل فيها البلاد العربية أكبر أجزائها، كان فيها تاريخ العرب في تلك الحقبة التاريخية الطويلة هو تاريخ الدولة العثمانية لأنهم كانوا شركاء العثمانيين في السراء والضراء والمغارم والمغانم وفي السلطة والحكم[١].

إن ما فعلته الدولة العثمانية في سبيل نصرة الإسلام وتدعيم أركانه ورفع شأن المسلمين[٢] هو الذي جعل دول الغرب تتكالب عليها، ولو كانت غير ذلك لما مست بسوء، بل لكانت وجدت العون والنصرة من الذين عادوها...[٣].

أما الحركات الاستقلالية التي قامت في الوطن العربي ضد الدولة العثمانية كحركة فخر الدين المعني الثاني في لبنان "١٥٩٠-١٦٣٥م" وحركة الشيخ ضاهر العمر في فلسطين "١٧٥٠-١٧٧٥م"، والحركة الوهابية في نجد، غير أن أية حركة من هذه الحركات لم تقم لدوافع قومية، بقدر ما كانت لمطامع شخصية أو لدوافع دينية، أما التمردات التي عرفتها البلاد العربية ضد السلطة العثمانية كانت ضدّ حكامها في الأقاليم وجورهم ولم تكن ضد الخليفة العثماني.

ومما يجب الإشارة إليه أن الغربيين لم يتركوا للعثمانيين مجالا لكي يخطو خطوة واحدة إلى الأمام[٤] الأمر الذي جعلهم يفقدون الكثير من ممتلكاتهم وهم عاجزون عن الدفاع عنها لإنشغالهم بحروب شرسة قريبة من عاصمة الخلافة كحرب اليونان ومؤامرة نفارين عام ١٨٢٧م والحرب الروسية على الدولة العثمانية عام ١٨٢٩م* وتهديدات محمد علي جعلها تفقد أعزّ ممتلكاتها "إسطنبول الصغرى"

---

[١]- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية "إحسان حقي المحقق"، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص١٢.

[٢]- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص١٢.

[٣]- نفسه.

[٤]- نفسه، ص ٧٣٦.

*- تقدمت الجيوش الروسية في البلقان بسرعة واحتلت مدينة أدرنة التركية في ١٩ أغسطس ١٨٢٩م مما أرغم السلطان العثماني على توقيع معاهدة أدرنة عام ١٨٢٩م التي أرغمته على ترك اليونان لأهلها. عبد العزيز

الجزائر، وهي في حالة إنهاك عاجزة عن الدفاع عنها. وبعدها تونس يوم ١٢ مايو ١٨٨١م* بعد مؤتمر برلين في ١٣ يوليو ١٨٧٨م حيث تم تآمر آخر عليها نالت بموجبه فرنسا تونس كمستعمرة لها. في الوقت الذي فسرت فيه الدولة العثمانية إقليم الصرب الذي ثار هو الآخر ضدها عام ١٨٧٥م وأصبح دولة مستقلة عام ١٨٧٨م بموجب معاهدة برلين[٥].

ولنفس الأسباب والظروف بعد إغراق مصر في الديون انتهت المساومات خاصة بين فرنسا وبريطانيا باحتلال هذه الأخيرة لمصر في ١٥ سبتمبر ١٨٨٢م[٦] ورغم ذلك حاولت الدولة العثمانية أن تبقى أرض الكنانة تابعة لها إسميا إلى غاية عام ١٩١٤م.

وهكذا تعرض العالم الإسلامي خلال القرن ١٩م للإستعمار الأوربي فإلى جانب البلاد العربية السابقة الذكر، فقد استولت روسيا على القوقاز والدول الإسلامية في وسط آسيا. وسيطرت إنجلترا على الهند وأراضي الخليج العربي، وسيطرت هولندا على أندونيسيا.

وهكذا أصبح العالم الإسلامي في قبضة الإستعمار الأوربي مما دفع القادة والمفكرين إلى التفكير في ضرورة التكاثف والتساند لصدّ تيار الاستعمار، ومن ثم استيقظت فكرة إحياء الوحدة الإسلامية الكبرى ونشأت فكرة الجامعة الإسلامية، وكان من أشهر الدعاة لهذه الفكرة جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩-١٨٩٧م).

وفي نفس الوقت حاول السلطان عبد الحميد أن يعزز مركزه الخارجي عن طريق تسخير الدين، واحتضان دعوة السيد جمال الدين الأفغاني لإنشاء الجامعة

سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ١٧١، ١٨٢.

*- احتجت الدولة العثمانية على ذلك واستنجد الباي محمد الصادق بها. حيث أرسلت أسطولا عثمانيا مدرعا إلا أن هذا الأسطول اضطر إلى الإنسحاب إلى مياه جزيرة كريت لعدم التوازن في القوى بين الأسطولين العثماني والفرنسي. (أنظر محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط٣، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ٣٨).

٥- محمد فريد بك المحامي، (المصدر السابق)، ص ٥٣٥.

٦- للإطلاع أكثر: انظر محمد حرب، المرجع السابق، ص ٣٨ وما بعدها.

الإسلامية، وفي سبيل ذلك سخر بعض الصحف والمجلات لنشر الدعاية له. واتجه إلى إحياء الخلافة الإسلامية حتى يلتف حوله المسلمون في جميع أنحاء العالم على اختلاف أجناسهم وقومياتهم وليعتبروه زعيم الإسلام وحامي الإسلام عند الدول الأوربية، ولذلك قرب إليه عددا من العلماء والزعماء كشيخ الإسلام أبي الهدى الصيادي وجمال الدين الأفغاني وغيرهما، وأصبحت الآستانة مهبط الزعماء المسلمين كما أرسل دعاته إلى جميع الأقطار الإسلامية لبث الدعوة للجامعة الإسلامية.

ولقيت دعوة السلطان عبد الحميد نجاحا كبيرا في جميع الأقطار خاصة تلك التي كانت تزخر تحت نير الاستعمار، ووجد فيها العرب والمسلمون فرصة للتخلص من الاستعمار الأوربي بالإستعانة بالسلطان الذي هو أمير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين، الذي أصبح يدعو إلى التضامن الإسلامي[٧] بصفته خليفة للمسلمين ليثبت ملكه في الداخل والخارج ولكونه زعيم المسلمين في جميع أنحاء العالم وحتى يستطيع تهديد الدول الأوربية –إذا ما وقفت ضده– بإثارة رعاياها من المسلمين ضدّها.

أ– سياسة السلطان عبد الحميد العربية وآخر تعايش بين العرب والعثمانيين:

أبدى الخليفة العثماني اهتماما خاصا بالولايات العثمانية العربية –قلب العالم الإسلامي– بجملة من التودد والإصلاحات يمكن إيجازها فيما يلي:

– إرسال دعاته لإقناع العرب بأن الخلافة هي أملهم الوحيد وأن الجامعة الإسلامية هي سبيلهم لاسترداد مجدهم.

– استضافة الأمراء العرب المعروفين بقوة شخصيتهم والعمل إلى كسبهم إلى جانبه.

---

[٧]– السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ١٠٥.

– التودد إلى العرب عن طريق الاهتمام بمؤسساتهم الدينية والعلمية والتبرع لها بالأموال "إصلاح الحرمين[٨]، ترميم المساجد،...الخ". كما كون لنفسه حرسًا خاصًا من الجنود العرب، ومستشارين عرب له في وظائف كبرى مثل "عزت باشا العابد" الذي أصبح مستشار السلطان للشؤون العربية والذي كان له دور كبير في مشروع سكة حديد الحجاز[٩].

ب– سكة حديد الحجاز:

اهتم الخليفة العثماني عبد الحميد بإنشاء الخطوط الحديدية في أنحاء الدولة العثمانية وكان يهدف من وراء ذلك:

– ربط أجزاء الدولة العثمانية في سبيل نجاح فكرة الوحدة العثمانية والجامعة الإسلامية وتقوية قبضة الدولة على ولاياتها[١٠].

– إجبار الولايات على الإندماج في الدولة والخضوع لقوانينها العسكرية والاشتراك في الدفاع عن الدولة بتقديم المال والرجال وقت الحاجة.

– تسهيل مهمة الدفاع عن الدولة العثمانية وإرسال النجدات لجميع الأنحاء إذا قامت تمردات أو ثورات ضد الدولة[١١].

– وأهم الخطوط التي أنجزها الخليفة عبد الحميد "سكة حديد الحجاز" التي تمتد من دمشق إلى المدينة المنورة وقد بدئ في تنفيذه عام ١٩٠٠م وأشرف عليه مهند سون ألمان. وكان الغرض من إنشاء هذا الخط هو خدمة حجاج بيت الله الحرام، وكسب الخليفة عبد الحميد مركزا سياسيًا إسلاميا باعتباره قائما على خدمة الحجاج المسلمين، كما أنه ناشد المسلمين في جميع أنحاء العالم التبرع

---

[٨]– محمد محمد التهامي، رحلة العبدري إلى الحجاز، مجلة الدارة، العدد ٠٤، السنة٩، الرياض، السعودية، ١٩٨٤م، ص ص ٩٩، ١٠١.

[٩]– أحمد فهد بركات الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، البصرة، العراق، ١٩٨٤م، ص ١٨١.

[١٠]– السطان عبد الحميد الثاني، مذكراته، ترجمة: محمد حرب، دار الأنصار، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م، ص ٠٩.

[١١]– أحمد الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ج١، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص ٧٠٩.

لإنشاء هذا الخط. وهناك غرض عسكري وهو توصيل القوات والإمدادات إلى الجزيرة العربية وخاصة للحجاز واليمن للحفاظ على الأمن والاستقرار.

– وقد تم توصيل الخط الحديدي إلى المدينة المنورة في شهر أغسطس ١٩٠٨م ولكنه لم يمتد إلى مكة المكرمة لأن الشريف حسين بن علي قام بعرقلة المشروع خوفا على سلطانه من بطش الدولة العثمانية. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى اشتركت القوات العربية والانجليزية في تخريب هذا الخط حتى لا تستعمله القوات العثمانية. وما زال معطلا حتى الآن، ولم تعرف الحجاز خطا حديديا غيره إلى يومنا هذا أي إلى غاية كتابة هذه الأسطر.

وخلاصة القول نقول أن الخليفة العثماني استغل الدين والمشاريع الإصلاحية لتوحيد الولايات العثمانية وخاصة العربية منها أمام التكالب الأوربي المسعور عليها.

٢– التصادم:

بدأت عملية التصادم بين العرب والأتراك جليا عندما اضطر الخليفة العثماني عبد الحميد أن يعيد المشروطية الثانية (الدستور) في ٢٣ يوليو ١٩٠٨م، وتولت جمعية الإتحاد والترقي الحكم وأعلنت تبنيها لمبادئ الثورة الفرنسية "الحرّية – العدالة – المساواة – الأخوة"[١٢] التي سخّرت بعض زعماء العرب بشعاراتها إلى الانضمام إلى هذه الجمعية لإقرار حكم الشورى والدستور في الدولة.

وللتخلص من السلطان عبد الحميد دبرّ الجيش العثماني في ١٣ أبريل ١٩٠٩م حادثة عرفت باسم حادثة ٣١ مارس نسبوها إلى السلطان بمحاولة الانقلاب على جماعة الإتحاد والترقي عن طريق ثورة العناصر الرجعية ضدّهم. فقاموا إبلاغه بالعزل عن طريق وفد مكون من أربعة أشخاص لم يكن منهم تركي وعربي واحد، وإنما كان على رأس الوفد يهودي إسمه إيمانويل قراصوا –الذي لعب دورا مشؤوما

[١٢]– محمد حرب، المرجع السابق، ص ٤٦.

في الاحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١م- والثلاثة الآخرون "أرمني وألباني وجرجي"[١٣].

وبذلك تنازل السلطان عبد الحميد عن العرش لأخيه السلطان محمد رشاد يوم ٢٧ أبريل ١٩٠٩م ونفي إلى مدينة سالونيك ذات الطابع اليهودي وكان مقر منفاه في هذه المدينة قصر مهترى يمتلكه يهودي اسمه "ألاتيني" إمعانا في إذلال الخليفة عبد الحميد[١٤].

اعتقد الإتحاديون بعدما تمكنوا من مقاليد الحكم أن تجديد شباب الدولة العثمانية لا يتأتى إلا بالتمسك بالقومية التركية، ولذلك حاولوا تتريك البلاد غير التركية خاصة العربية، وقد كان لهذه السياسة أثر سيء في نفوس العرب خاصة وأنها جاءت في وقت ظهرت فيه نهضة فكرية وثقافية عربية، مما جعل العرب يتمسكون بمقومات قوميتهم.

وهكذا شهدت نهاية القرن ١٩م وبداية القرن ٢٠م استعلاءً قوميًا ونشاطا كثيفًا معبرا عن تحدٍ كبير لاتجاهات كانت مقدسة في الدولة العثمانية، كمبدأ مساواة الشعوب المتآلفة بالإسلام داخل الخلافة العثمانية. وليس ذلك فحسب بل أصبح غلاة الأتراك ينادون بسيادة الجنس التركي على بقية الأجناس الأخرى خاصة العرب ويجاهرون باحتقارها. وبذلك أصبحت السلطة العثمانية تخضع تدريجيا لمشروع هذه الجماعة[١٥].

وعلى الرغم من ذلك فإن الأغلبية الساحقة من العرب كانت تنظر إلى الدولة العثمانية كدولة خلافة إسلامية لا سلطنة عثمانية، وهكذا كان ولاؤهم الديني أكثر من ولائهم القومي وهذا ما أشار إليه أكثر من مرة "جورج أنطونيوس" في كتابه يقظة العرب. وهذا ما جعل زعماء الحركة العربية بعد قيام الحرب العالمية الأولى يقرون

---

[١٣]- محمد حرب، المرجع السابق، ص ٤٧. وللإطلاع أكثر عن الموضوع أنظر: مذكرات الأميرة شادية عثمان أوغلو ابنة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، الأيام المرّة والحلوة، ترجمة: بشار شريف، دار الأمم للبحوث والدراسات والوثائق، الرباط، المغرب، ٢٠١٨م، ص ٣٧ وما بعدها.

[١٤]- نفسه.

[١٥]- قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية "قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط"، الدار العربية للعلوم، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بيروت، لبنان، ص ١٤١.

ويعملون بضرورة تأييد الدولة العثمانية وشعر الإتحاديون بهذا الموقف وعملوا بدورهم على كسب العرب إلى جانبهم. ولكن عندما قام جمال باشا أثناء الحرب بمداهمة القنصليتين الإنجليزية والفرنسية في دمشق وبيروت وجد فيهما وثائق سياسية هامة فيها أسماء الزعماء العرب الذين اتصلوا بفرنسا للعمل في سبيل الاستقلال عن الدولة العثمانية والحرب قائمة على أشدّها. وهنا قام جمال باشا في ٣١ أغسطس ١٩١٥م بإعدام "١١" شخصا في بيروت وأتبعه بإعدام الكثير من المثقفين السوريين في المدن السورية. وكانت آخر قافلة من الإعدامات تلك التي أقامها في ٦ مايو ١٩١٦م. ذهب ضحيتها أكبر زعماء النهضة العربية. ومن جملة التهم المنسوبة إليهم، تحرير رسائل سياسية إلى قناصل دول أجنبية ودعوتها إلى إنقاذ البلاد من حكم الأتراك.

والظاهر تاريخيا أن هذه العملية أدت إلى التصادم المباشر بين العرب والترك وقطع وشائج الأخوة الإسلامية حيث دفعت الحركة العربية الشريف حسين إلى إعلان الثورة العربية الكبرى على الأتراك يوم ١٠ يونيو ١٩١٦م بعد تحالفه العسكري مع بريطانيا مقابل تعهد هذه الأخيرة له بعد الحرب على الاستقلال وإقامة مملكة عربية موحدة تحت زعامته "وهو ما تضمنته مراسلات الحسين مكماهون المندوب السامي البريطاني بمصر يومها (١٩١٥-١٩١٦م)".

وهكذا استطاع الغرب وخاصة بريطانيا بذلك أن تقضي على التعايش العربي التركي وتجعل منه تصادما بإقحام العرب في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل بوعود مبهمة وإغراءات غامضة وخادعة.

ففي الوقت الذي وعدت فيه بريطانيا وفرنسا الشريف حسين بإمبراطورية عربية تشمل الوطن العربي كله[١٦] كانت قد تقاسمت سرًا البلاد العربية فأخذت فرنسا سوريا ولبنان وأخذت انجلترا العراق وفلسطين بالإضافة إلى محمياتها في شواطئ الجزيرة العربية "عدن، مسقط، مشيخات الخليج العربي بما فيها البحرين والكويت"[١٧]، أما فلسطين فقد اتفقتا على منحها للصهاينة لتكون وطنا قوميا لهم. كل ذلك كان بموجب

---

[١٦]- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ٧٦٣.

[١٧]- نفسه.

اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م المعقودة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا لتقسيم الدولة العثمانية السرّية والتي كشفها رجال الثورة الشيوعية الروس بعد استلامهم الحكم في روسيا[١٨] هذا إلى جانب كشفها كذلك من طرف جمال باشا يوم ٣٠ نوفمبر ١٩١٧م[١٩] وقبله أسرعت الدولة العثمانية بإرسال نص الاتفاق إلى الشريف حسين وعرضت عليه الوقوف بجانبها مقابل إعطاء العرب أكبر قسط من الحكم الذاتي. فاضطرب الشريف حسين بهذا النبأ وبهذه المؤامرة، وطلب من المندوب السامي البريطاني تفسيرا لذلك فادعى أن الوثيقة ليست اتفاقا نهائيا، وأن بريطانيا لا تزال عند وعدها للعرب، فاقنع الشريف حسين بشرف انجلترا ومضى في تأييده لها حتى بعد أن أظهرت مطامعها الإستعمارية؟!! لأنه لم يعد قادرا على الرجوع على ما أقدم عليه[٢٠].

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها نستنتج أن عملية التصادم بين العثمانيين والعرب الذين ثاروا بثورتهم الكبرى عليهم، وجدوا أنفسهم أنهم أصبحوا أكثر تفككًا وشتاتًا مما كنوا عليه من قبل وأن دولتهم الموعودة ذهبت في مهب الريح، مستعمرين ومستعبدين ولم يكتف حلفاؤهم بذلك فحسب بل غرسوا في قلب الأمتين العربية والإسلامية كيانا صهيونيًا في فلسطين يجعلهم مشتتين ممزقين إلى يوم الدين ما دام هذا الكيان باق ولم يتم استئصاله. هذا كله وأكثر بعدما كانوا في ظل الدولة العثمانية شركاء في الحكم ... تحت مظلة واحدة وهي الخلافة العثمانية[٢١].

أما الشعوبيون الأتراك الذين دفعوا العرب إلى ما قاموا به فإنهم خرجوا من تصادمهم مع العرب دولة صغيرة المساحة قليلة السكان معقدة حضاريا مغرمة بتقليد الغرب في كل شيء حتى في ترتيب أمور بيوته.

---

[١٨]– نفسه.

[١٩]– نفسه.

[٢٠]– نفسه، ص ٦٧٤.

[٢١]– نفسه.

وخير ما يمكن اختتام به هذه المحاضرة ما قاله الدكتور المؤرخ إحسان حقي محقق كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لصاحبه محمد فريد بك المحامي: «إن ما فعله مصطفى كمال كان في مصلحة الغرب وليس في مصلحة تركيا ولا في مصلحة الشعب التركي. لقد قطع مصطفى كمال كل صلة للأتراك بإخوانهم المسلمين... لقد كانت الخلافة، على ضعف الخلفاء، وتخاذلهم وجهل بعضهم لا بل ورذائلهم، سلاحًا ماضيا بيد المسلمين يزعج الغربيين فعملوا حتى قضوا عليه. ولو كان مصطفى كمال أبقى على الهيكل الإسلامي ولم يمس اللّغة لكان خلق تركيا خلقًا جديدًا سليمًا ولكانت اليوم سيدة العالم الإسلامي كما كانت من قبل ولو تقلصت أطرافها...»[٢٢].

والقول الذي افتتح به ناشر الكتاب أحمد راتب عرموش ناسبًا إياه لأستاذ التاريخ الذي نسي إسمه قائلا لهم بمناسبة "عيد الشهداء": «هؤلاء الذين نحي ذكراهم كلّ عام هم خونة يجب أن نلعنهم. لقد اتصلوا بالإنجليز، وتآمروا مع الاستعمار لفصل بلاد العرب عن الدولة العثمانية المسلمة...»[٢٣].

---

[٢٢]– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص ٧٥٩، ٧٥٩.

[٢٣]– نفسه، ص ٠٥.